الفصل 2

الحياة العملية

المتقاعدون العاملون

هناك أرقام سحرية قليلة في الحياة الأمريكية المدنية. يمكنك التصويت (ويتم استدعاؤك للخدمة العسكرية) في عمر 18 سنة. يمكنك أن تشرب في عمر 21 سنة. يمكنك أن تصبح رئيساً في عمر 35 سنة. يمكنك أن تتقاعد في عمر 65 سنة.

لكن فيما يتعلق بالرقم الأخير ذاك – هل يريد الأمريكيون ذلك حقاً؟ يعيش كثير من الأمريكيين الآن في صحة جيدة حتى 85 سنة، وأعداد الذين يتقاعدون في عمر 65 تصبح أقل شيئاً فشيئاً. اليوم، هناك 5 ملايين شخص أعمارهم 65 سنة في سوق العمل في الولايات المتحدة، وهذا يعادل تقريباً ضعف ما كانوا عليه في بداية الثمانينيات. وذلك الرقم على وشك أن يزداد.

نسبة القوى العاملة الأمريكية من الرجال والنساء في عمر +65

2005 – 1985

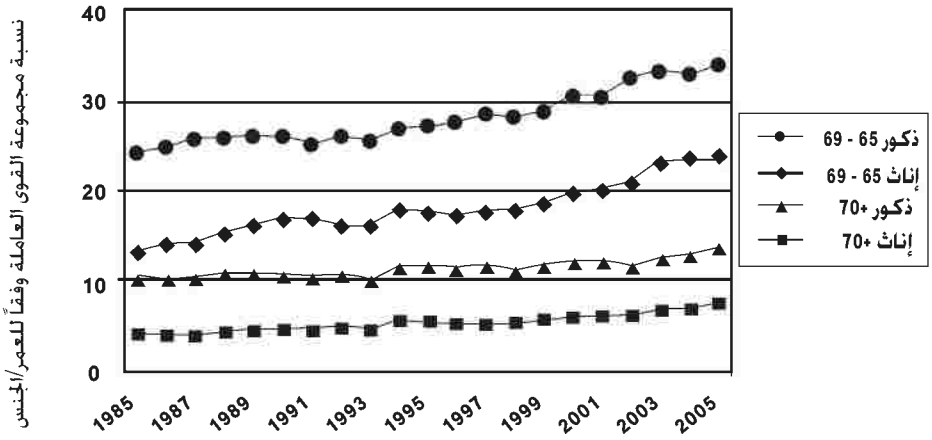

المصدر: دراسة إحصائية حالية. مكتب إحصائيات العمل. 2006

يعمل بعض الناس بعد عمر 65 لأنه ينبغي لهم ذلك: تكاليف الرعاية الصحية ترتفع، ودفعات الضمان الاجتماعي -بمعدل نحو 1000 دولار شهرياً- لا تغطي النفقات كما كانت من قبل. لكن النزعة الأكبر في وظائف العمل الإداري هي حقيقة أن الأمريكيين يحبون العمل - وطالما نعيش مدة أطول الآن، نريد أن نعمل مدة أطول أيضاً. لا نستطيع ببساطة الحصول على ما يكفي. صديقي ومستشاري هارولد بورسن، الشريك المؤسس لشركة بورسن مارستلر للعلاقات العامة الدولية، التي شغل فيها منصب الرئيس التنفيذي، بلغ من العمر 86. ويأتي إلى العمل كل يوم، مليئاً بالأفكار الجديدة.

بالمعدل، يعمل الأمريكيون ما يزيد عن 1800 ساعة سنوياً، وهذا يزيد كثيراً عن معدل ساعات العمل في كل أنحاء العالم. بالرغم من أننا لا نحصل على كثير من الإجازات في أثناء السنة مقارنة بالدول الغربية (ثلاثة عشر يوماً، مقارنة بثمانية وعشرين في بريطانيا العظمى، وسبعة وثلاثين في فرنسة)، إلا أننا لا نعمل فيما يزيد على ضعف تلك المدة. وحقاً، ما الذي قد تعنيه الإجازة لنا هذه الأيام دون الاهتمام بالعمل؟ في سنة 2006. تفقّد نحو ربعنا (23 %) بريدهم الإلكتروني والصوتي من بعيد - ارتفاعاً من 16 % سنة 2005. كثير منا يحبون أن يعملوا.

في الواقع، حافز العمل مهم جداً وتقول الوصية الرابعة (الثالثة بالنسبة للكاثوليك) بضرورة أخذ إجازة يوم واحد في الأسبوع. يترافق الخلود إلى الراحة يوماً في الأسبوع مع الامتناع عن القتل، وعدم الوقوع في الزنا، وعدم السرقة. ننحو لأن نفترض أن معظم الناس يريدون إجازة - ينتظرون طوال الأسبوع حتى ظهيرة يوم الجمعة؛ ليرتاحوا من عبء العمل. حتى أكون واضحاً، كثير من الأعمال مروعة -حتى إنها تهدد الحياة - ويكون منطقياً ألا يطيق الناس الانتظار للذهاب إلى المنزل. لكن بما أن معظم الأعمال قد أصبحت إدارية، استشارية، وتعتمد على برامج الحاسب -والوظائف الصناعية في تراجع مستمر- قام كثير من الناس بتغيير موقفهم من العمل، وقد ازداد عدد المدمنين على العمل على نحو كبير. كم مرة سمعت القول المأثور: «العمر ينتهي والشغل لا ينتهي»؟ وبالرغم من ذلك، يفعل كثير من الناس ذلك. سيصاب جيل الشطائر بصدمة عندما

يتصلون بالآباء والأمهات الذين يبلغون من العمر سبعين عاماً في مكاتبهم، ويكتشفون أنهم مشغولون للغاية لمجالسة الأحفاد.

ما يضيف إلى هوس أمريكة العام بالعمل حقيقة أن الجيل المزدهر الجديد يقترب من 65. وأصبح واضحاً أن فكرة «التقاعد» التقليدية -مع الساعة الذهبية، والكرسي الهزّاز، ومسلك الغولف- ليست سوى استعداد للتقاعد نفسه.

أعاد أولئك المنتعشون مادياً تعريف الشباب في الستينيات والنجاح الاقتصادي في الثمانينيات؛ ولن يعيشوا ما تبقى من سنوات حياتهم وفقاً لما يمليه عليهم شخص آخر. وفقاً لدارسة نفّذتها ميريل لينش Merrill Lynch سنة 2005. قال 3 من كل 4 ممن يُعدّ دخلهم كبيراً: إنهم لا يسعون للتقاعد مبكراً. بدلاً من ذلك، كانوا يتطلعون قدماً إلى السنوات العشرين القادمة من عمرهم (عندما تم إنشاء الضمان الاجتماعي سنة 1935. كانت التوقعات تشير إلى أن الشخص الذي يبلغ من العمر 65 سنة لن يعيش أكثر من ثلاث عشرة سنة أخرى) - وكانوا يقولون: «دعونا نتقاعد». يرغب بعضهم الحفاظ على تأمينهم الصحي، أو الحصول على أموال تكفي سنواتهم الإضافية - لكن كثيراً من الذين استُطلعت آراؤهم قالوا: إنهم يرغبون في متابعة العمل؛ للحفاظ على نشاطهم الذهني والجسدي والبقاء على تواصل مع الناس.

وكانت تغييرات حديثة في بيئة العمل قد جعلت تلك الرغبات ممكنة. عندما تتطلب المزيد من الأعمال قوة عمل جسدية، ربما يكون ذلك في غير صالح الأشخاص الأكبر سناً الذين يعانون من المرض أو الألم. على أي حال، جعلت أدوية مثل سيلبركس Celebrex ملايين الأمريكيين يواصلون العمل بالرغم من آلامهم. وإذا انتهى الأمر بالعمال الأكبر سناً فهم مصابون بضعف جسدي، فإن «قانون الإعاقات» الأمريكي يساعد على جعل أماكن عملهم أكثر ملاءمة لهم.

المتقاعدون العاملون يعنون أشياء كثيرة لأمريكة. من ناحية رقمية بحتة، ذلك يعني وجود قوة عمل أكبر كثيراً مما قد يتوقع أي شخص. كل سنة، يصل ما يزيد قليلاً عن 2 مليوني أمريكي إلى عمر 65. إذا قرر نصفهم فقط متابعة العمل، فسيعني ذلك أكثر

من 1 مليون مشارك غير متوقع في قوة العمل – أو ما يعادل نحو 1 % إضافية من عدد العمال الحاليين.

سيكون لذلك تأثيرات كبيرة. أولاً، سيسبب ذلك ضغطاً على الموظفين الأصغر سناً، الذين كانوا ينتظرون دورهم لتولي زمام الأمور. إذا لم يستطع الناس فجأة أن يصبحوا مديرين ونواباً لرؤساء سوى بعد بلوغهم سن 40، بدلاً من 35، فهل سيبقون حقاً في مواقعهم وينتظرون؟ إذا فعلوا ذلك، فهل سينتج عن ذلك قادة أكثر سلبية – لأن الأكثر نشاطاً سيغادرون ويبدؤون مشروعاتهم الخاصة؟

لذلك تأثيرات أكبر، حتى بالنسبة لبعض الصناعات. ينحو العمال الأكبر سناً والأقل دخلاً إلى العمل في تجارة التجزئة، وغالباً بدوام جزئي؛ فيما ينحو العمال الأكبر سناً والأعلى دخلاً إلى أن يصبحوا مستشارين ومتعاقدين مستقلين، إما في مجال اختصاصهم أو في هواية يحبونها. وهم سيرغبون على الأرجح في إدارة عملهم الخاص: يحصل الموظفون الأكبر سناً على 7 % من التعاقدات المستقلة، مقارنة بـ2.5 % فقط من الموظفين المرتبطين بعقود تقليدية. لكن مهما يكن الأمر، يمكنك أن تتوقع مهمات سهلة لأقسام الموارد البشرية في هوم ديبوت Home Depot وسي-في-إس CVS، إضافة إلى شركات كثيرة في الحقول التقنية.

في كل الصناعات، يحتاج الموظفون إلى التكيف مع الواقع الجديد. وجدت دراسة ميريل لينش أنه لا توجد سوى بعض الشركات التي تركز على الموظفين كبار السن، وتتعامل معهم كما لو أنها تتعامل مع موظفين شبان موفوري الصحة لتخفض تكاليفها. لكن عندما يتعلق الأمر بحزمة الفوائد، ربما ستتنافس أولويات الموظفين الحالية مثل إجازة الأمومة والعناية بالأطفال مع خيارات «إجازات الشتاء» وتغطية تكاليف الأدوية. تماماً كما نجم عن الحركة النسائية خيارات جديدة مثل الدوام الجزئي والعمل من المنزل، توقع خيارات جديدة فيما يتعلق بأماكن العمل للأعمال الدورية والأشكال الأخرى غير التقليدية.

لا أحسد بناة نوادي الغولف أو ملاعبها – فأعداد المتقاعدين التي تقضي النهار كله في الملاعب ستتراجع على الأرجح مما سيحد من الطلب على تلك الأماكن. في الوقت نفسه،

ربما يصبح مكان العمل الأكثر ازدحاماً هو «مجتمعات التقاعد». وانظر إلى الأسواق المتنامية لكل من الحواسيب، والهواتف الخليوية، والأدوات المتنقلة المخصصة للمديرين، إضافة إلى زيادة استعمال نظارات القراءة.

سيؤثر المتقاعدون العاملون أيضاً في المشهد السياسي. يصوت المواطنون الأكبر سناً، ويولي الرجال والنساء العاملون بعض الاهتمام للاقتصاد عندما يعودون بشيكات رواتبهم إلى منازلهم. كان الناخبون كبار السن قد أصبحوا «ناخبي القيمة العالية» - خاصة الرجال دائمي الشكوى الطاعنين في السن. إن بقاءهم في سوق العمل يعني قيامهم بالتصويت على أساس يفيد الوظائف والاقتصاد دون إيلاء كبير اهتمام للقضايا الثقافية.

وانظر إلى التشريعات والقوانين الجديدة، خاصة قوانين التمييز الجديدة. منذ سنة 1978، أضحى غير قانوني إيقاف الموظفين عن العمل قبل بلوغهم سن 70. ومنذ سنة 1986 لم يعد هناك أي شكل إلزامي من التقاعد. لكنك لا تحصل حالياً على أي فوائد إضافية على تأجيل استلام دفعات الضمان الاجتماعي بعد سن 70. لماذا لا تكون 73؟

وماذا عن التمييز على أساس العمر؟ هل سيتم غض الطرف عن قضاء الموظفين الأكبر سناً وقتاً أطول في إنجاز المهام الموكلة إليهم؟ هل ستصبح «بيئة العمل عدائية» إذا تضمنت منافسات الوظيفة مسابقات عبر مواقع الإنترنت، بدلاً من ملاعب كرة السلة؟

نادراً ما تخيل أحد التأثيرات التجارية للمتقاعدين الموظفين. لا يزال تجار المنتجات «عالية الجودة» يركزون على نحو كبير على نوادي الغولف ومحبي رياضة المشي. ماذا عن مقاعد المكتب «الوثيرة» المناسبة لالتهاب المفاصل، وآلام الظهر، وجراحة الركبة؟ والمزيد من المنشآت المناسبة لقضاء مدة قيلولة للأشخاص كبار السن الذين يأتون إلى العمل في الساعة 7 صباحاً لكنهم يحتاجون إلى إغلاق عيونهم قليلاً بين 2 و2.30؟ وآرائك في كل رواق؟ وأطعمة خالية من الصوديوم في مطعم الشركة؟

سيكون للمتقاعدين العاملين تأثير كبير أيضاً على الحياة العائلية. ليس واضحاً كيف ستكون ردة فعل الزوجات عندما يختار الرجال فجأة البقاء في العمل بدلاً من قضاء سنواتهم الذهبية معهن. (هل ستكون تلك إهانة؟ أم مصدر راحة؟). وماذا عن الأولاد؟

لن يستطيعوا بعد الآن الاعتماد على والديهم لمجالسة أطفالهم؛ لأن الوالدين يعملان بجد مثلهما تماماً - يوحي هذا بأن تكاليف صناعة العناية بالأطفال سترتفع كثيراً.

وهناك تأثيرات تتعلق بالصحة العامة. أكثر من 1 مليون عامل إضافي في كل سنة سيعني المزيد من الاختناق المروري على الطرقات. والحوادث - يكون السائقون في عمر 65 أو أكثر طرفاً في 7 % من كل حوادث الطرق، و10 % من كل الحوادث القاتلة.

لكن التأثير الكبير الحقيقي للمتقاعدين العاملين هو، أساساً، أن كل ما كنا نتوقعه في العقد الماضي أو نحو ذلك، فيما يتعلق بانهيار الضمان الاجتماعي، كان خاطئاً. لن يكون هناك، في الواقع، عشرة متقاعدين مقابل كل عامل واحد؛ لأن المتقاعدين سيكونون يعملون أيضاً. ستكون أعباء الضمان الاجتماعي الهائلة التي كنا نحذر منها أقل مما نتوقع، إلى درجة ما، نتيجة هذه النزعة - وإلى حدٍ كبير على حساب الناس الذين كان يفترض أن يستفيدوا منه. وفقاً ليوجين شتورل، اقتصادي في معهد أوربان Urban. إذا عمل كل شخص سنة واحدة فقط بعد سن التقاعد المتوقع، فسنعوض بالكامل النقص المتوقع بين الفوائد والضرائب في تأمين العصر الذهبي من الضمان الاجتماعي. إذا عمل كل شخص خمس سنوات إضافية، فستكون الضرائب الإضافية وحدها التي ستحصل عليها الحكومة أكبر من ذلك النقص.

هل هناك تأثير أكبر من ذلك؟

حسناً - ربما؛ قد يطيل المتقاعد العامل في الواقع من حياته نفسها. كانت كثير من الدراسات قد أظهرت أن الجسد والذهن النشيطين يشكلان عاملين أساسيين لزيادة سنوات التمتع بصحة جيدة. هل نحن على قمة جبل جليدي فقط لتوقع حياة أطول؟ ربما يصل المزيد والمزيد منا إلى عمر 100 - ليس من وجبات الطعام الجديدة الصحية والتمارين الرياضية، وإنما من دفع الساعة إلى ما بعد 65؟

وربما يستطيع المتقاعد العامل إنقاذ العائلة - قد يبدو ذلك أمراً يصعب على الأزواج والأولاد استيعابه بادئ الأمر. إذا استطاع شخص ما العمل فعلاً حتى يبلغ 90 سنة، فهل سيكون ذلك صمام أمان لمعضلة العائلة العاملة؟ هل تستطيع الأمهات (أو الآباء)

القيام الآن بتربية الأولاد فقط بين عمري 23 و43 - ثم قضاء 50 سنة في العمل؟ تخبرنا دراسات عن صيادي أسماك أن أهم أولوياتهم في الحياة هي جني كثير من المال وإنشاء عائلة. هل يستطيعون -على المدى الطويل- القيام بكلا الأمرين إذا أصبحت «سنوات العمل» فجأة أطول عشرين عاماً مما اعتادوا عليه؟

ما كانت تُعدّ «سنوات ذهبية» أصبحت الآن، في أذهان الأمريكيين كبار السن، «فرصاً ذهبية». نعم، قد ينجم عن هذا التطور زيادة في الحوادث المرورية، ويدفع بالجيل الأصغر إلى إقامة مشروعاته الخاصة به - لكنه يعمل في الوقت نفسه على تفادي حدوث أزمة في نظام الضمان الاجتماعي في أمريكة، ويطيل العمر، وينقذ العائلة الأمريكية.

الانتقال من المنازل وإلى أماكن العمل

ربما لا توجد تجربة مشتركة في أمريكة مثل العادة اليومية في الانتقال ذهاباً وإياباً من العمل. يعمل منا نحو 150 مليون شخص، 3 % فقط في المنزل. لهذا نغادر جميعنا تقريباً -نحو 145 مليون شخص- منازلنا كل صباح، ننتقل إلى مكان العمل، ونعود أدراجنا في المساء.

قبل سنوات، كانت هناك دراسات تقول: إن الناس لن يتحملوا انتقالاً أطول من خمس وأربعين دقيقة. حسناً، نحن نتقدم هنا: معدلنا الحالي هو 25 دقيقة الآن، زيادة بنحو 20 % منذ سنة 1980. وفقاً لتقرير بزنس ويك Business Week سنة 2005، في سنة 1990 لم يغادر سوى 24 % من كل العاملين مقاطعات منازلهم للذهاب إلى العمل. الآن، 50 % من الموظفين الجدد يفعلون ذلك.

تتسع المسافة الكبيرة بين أماكن العمل ومنازل العمال؛ لأن الوظائف تنتقل إلى الضواحي، والعمال يغادرون إلى «الضواحي الخارجية». يشبه الأمر مطاردة كبيرة إلى الحلقات الخارجية، حيث يدفع المزيد من الناس ثمن الانتقال. لكن نتيجة لذلك، في سنة 2000، قضى نحو 10 ملايين أمريكي أكثر من ساعة في الانتقال إلى العمل – ارتفع العدد من نحو 7 ملايين قبل عشر سنوات.

وعند الحد الأقصى لهذه النزعة -كما سمّاها «مكتب الإحصاء»- هناك «أكثر الأشخاص انتقالاً» الذين يقضون على الأقل 90 دقيقة في الاتجاهين للوصول إلى العمل. في سنة 2000، كان هناك 3.4 ملايين عامل يقضون ذلك الوقت في الانتقال في أمريكة وهذا يعادل تقريباً ضعف العدد قبل عشر سنوات.

أضحى الانتقال الطويل ظاهرة دفعت بميداس موفلر في ربيع 2006 إلى تنظيم مسابقة لمكافأة «الشخص الذي يقطع أطول مسافة إلى العمل في أمريكة». جذبت المسابقة آلاف

المشاركين، ومنح ميداس الجائزة إلى ديفيد غيفنز من ماريبوسا، كاليفورنيا الذي يقود سيارته 372 ميلاً في الذهاب والإياب كل يوم إلى عمله في شركة سيسكو Cisco في سان خوسيه. (يغادر منزله كل صباح في الساعة 4:30، يتوقف مرة واحدة لتناول القهوة، ويكون على مكتبه في سيسكو الساعة 7:45. عند الساعة 5:00 بعد الظهر، يعود أدراجه، ويصل المنزل نحو 8:30).

الانتقال من المنزل وإلى مكان العمل في أمريكة

2000-1990

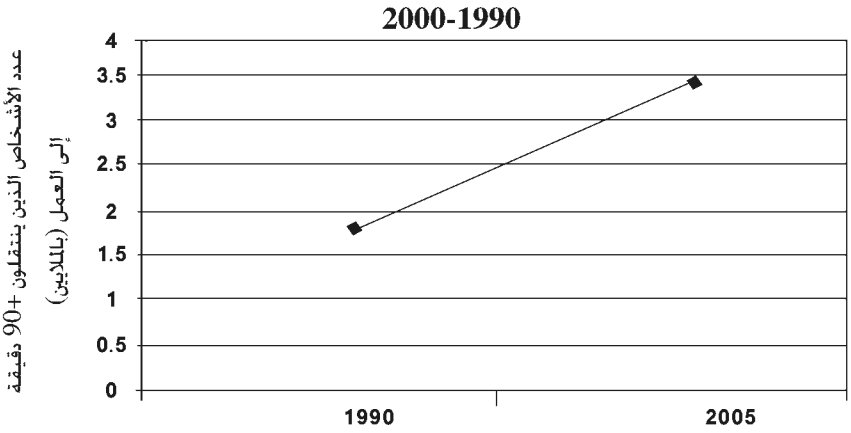

المصدر: مكتب الإحصاء الأمريكي، رحلة العمل، 2000

من هم أولئك العاملون الذين يبلغ عددهم 3.4 ملايين شخص، ويقطعون مسافات طويلة من منازلهم وإلى أماكن عملهم، ولماذا يعملون في أماكن بعيدة جداً عن منازلهم؟

على الأغلب، لا يستطيع الأشخاص الذين يعيشون بعيداً عن أعمالهم تحمل نفقات العيش قريباً منها. كانت أسعار المنازل الجديدة قد تضاعفت ثلاث مرات تقريباً منذ منتصف الثمانينيات، ووصل معدل ثمنها الآن إلى 300.000 دولار. لا يستطيع الناس شراء منازل في المناطق الحضرية الرئيسة، حيث يعملون. وفقاً لبيانات مكتب الإحصاء، الولاية التي شهدت أكبر زيادة في وقت الانتقال من المنزل وإلى العمل بين سنتي 2002 و2003 كانت فيرجينيا الغربية - حيث لا تزال المساكن متوافرة، لكن أعمالاً أكثر إغراءً

في واشنطن العاصمة، وبنسلفانيا، وأوهايو تجذب العاملين إلى خارج الولاية من الساعة 9 إلى 5 (أو، إذا أخذت زمن الانتقال في الحسبان، من 4:30 صباحاً إلى 8:30 مساءً).

يقوم موظفون آخرون بالانتقال مسافات طويلة من منازلهم وإلى أعمالهم لتحسين حياتهم. نظراً لتراجع أسعار الأراضي كلما ابتعدت عن المدن، يقرر الناس تحمّل مشقة الانتقال الطويل من أجل الحصول على منزل أكبر، وحديقة أكبر، وازدحام أقل، وجريمة أقل. ناهيك عن ذكر الطبيعة. يقضي نحو 25.000 شخص من جبال بوكونو في بنسلفانيا ساعات في الانتقال من المنازل وإلى مدينة نيويورك كل يوم في الأسبوع - لكن في عطلات نهاية الأسبوع، يستمتعون بالتنزّه، والتزلج، وهواء الجبال المنعش.

ويقطع بعض الأزواج ثنائيي الدخل مسافات طويلة ليس لأسباب اقتصادية أو تحسين نمط العيش، وإنما لضرورة الوجود قرب بعضهم. يزداد عدد الأسر التي يعمل فيها الزوجان، وكذلك فرص أن يضطر أحدهما أو كلاهما للقيام برحلة إلى مكان عمله. كانت برنستون، نيوجرسي، الشهيرة بالجامعات قد أضحت أيضاً ضاحية ذائعة الصيت لأزواج ينبغي عليهم الانتقال إلى كل من مدينة نيويورك وفيلادلفيا.

بالفعل، أسوأ الأماكن التي ينبغي الانتقال منها وإليها هي المناطق الحضرية في نيويورك وواشنطن العاصمة - بمعدل أربع وثلاثين وثلاث وثلاثين دقيقة، على الترتيب. واضح تماماً أن مسافات الانتقال الطويلة تلك، إضافة إلى أسعار الوقود المرتفعة، تدفع الناس إلى العودة إلى وسائل النقل العام.

لكن بالرغم من ذلك، يستيقظ ما يزيد عن 3 ملايين شخص -نسبة 1 % السحرية لنزعة مجهرية – مع النجوم ويقطعون حدود الولاية وحتى المناطق الزمنية للوصول إلى أعمالهم؛ وربما يرغب واضعو السياسات العامة، ومسؤولو الصحة العامة، وعالم الأعمال في ملاحظة ذلك.

أولاً، هذه مجموعة يهمها كثيراً أسعار الوقود. يقود 76 % من كل هؤلاء الموظفين سياراتهم وحيدين إلى أعمالهم، والنسبة أكبر لدى أولئك الذين يقطعون مسافات طويلة جداً. (صعب حقاً أن تقود سيارتك ابتداءً من الساعة 4:30 صباحاً، أو 125 ميلاً في رحلة

ذهاب وإياب من العمل). يمكن لأسعار الوقود أن تفيد أو تسيء لمهن هذه المجموعة. قال السيد غيفنز، الفائز بجائزة ميداس موفلر للشخص الذي ينتقل أطول مسافة من منزله وإلى مكان عمله: إنه كان ينفق نحو 800 دولار كل شهر على الوقود. استشاطت إحدى السيدات اللواتي يقطعن مسافة طويلة إلى عملهن في كاليفورنيا الشمالية غضباً عندما قال الرئيس جورج دبليو. بوش في خطاب «حالة الاتحاد» سنة 2006: إن الأمريكيين «مدمنون للنفط». سألت: «هل نحن كذلك، أم أننا نحاول فقط الوصول إلى أعمالنا؟». قد لا يمانع الأشخاص الذين يسكنون في المدن فرض ضريبة على الوقود، لكن هؤلاء الملايين الثلاثة لن يصوّتوا البتة لمرشح يريد فرض مثل تلك الضريبة.

الأشخاص الذين يقطعون مسافات طويلة من منازلهم وإلى أماكن عملهم عرضة أيضاً لمخاطر كبيرة تنجم عن تصرفات خطيرة مثل غضب الطريق، إضافة إلى المشكلات الصحية. كان الطبيب جون هـ. كاسادا، المختص في إجهاد السفر، قد قال: إنه كلما كانت المسافة التي يقطعها الناس أطول، زادت على الأرجح معاناتهم من غضب الطريق - الذي قد يقود ليس إلى العنف فقط، وإنما إلى إصابتهم بنوبات قلبية، وجلطات، وقرحة.

يكون الأشخاص الذين يقطعون مسافات طويلة يومياً أكثر عرضة أيضاً للبدانة. كانت أبحاث في معهد جورجيا التقني قد أظهرت أن كل ثلاثين دقيقة من قيادة السيارة تزيد خطر البدانة بنسبة 3 %. في استطلاع أجرته أيه-بي-سي ABC/واشنطن بوست Washington Post عن حركة المرور سنة 2005، قال 4 من كل 10 سائقين: إنهم عندما يعلقون في زحمة السير، يتناولون طعاماً.

وجد روبرت بوتنام في كتابه لعب البولينغ وحيداً سنة 2000 أنه مقابل كل عشر دقائق إضافية تقضيها في الانتقال، تخسر 10 % من الوقت المخصص للعائلة والأنشطة الاجتماعية (إلا، بالطبع، إن كنت تأخذ أطفالك معك إلى حضانة في مكان عملك). لكن بما أن العديد من الأشخاص الذين يقضون وقتاً طويلاً في الانتقال لا يمانعون ذلك مقابل الاستمتاع بحياة البلدات الصغيرة، يبدو ذلك على وجه الخصوص مؤسفاً، أو يتطلب تضحية بالذات. يقوم العديد من هؤلاء بذلك من أجل عائلاتهم - لمنحهم حياة أفضل

مع مدارس أفضل. ينتظر آخرون نهاية عطلة الأسبوع؛ للاستمتاع بالسبب الذي يجعلهم يقطعون كل تلك المسافة في أثناء الأسبوع.

هناك مفاهيم تجارية مهمة لمجموعة الأشخاص الذين يقطعون مسافات طويلة من منازلهم إلى أماكن عملهم. وفقاً لتقرير نيوزويك Newsweek سنة 2006، أضحت المطاعم تحضّر وجبات سريعة كاملة يمكن وضعها في أكواب، وتأتي بعض السيارات الآن مزوّدة بالمزيد من حاملات الأكواب. تضع محطات الوقود قوائم تعمل باللمس عند المضخات، ويمكن للناس عبرها طلب شطائر فيما يملؤون خزّانات سياراتهم ويتسلمونها جاهزة عند مغادرتهم. تأتي أنظمة الملاحة عبر الأقمار الاصطناعية الآن مع خيارات سير بالزمن الحقيقي؛ لتساعد السائقين في تفادي الازدحام المروري. ساحة المعركة الآتية، كما يقول المراقبون، هي المقاعد الوثيرة. سيكون الأشخاص الذين يقضون أكثر من ثلاث ساعات كل يوم خلف المقود على الأرجح مهتمين بميزات تحقق لهم راحة إضافية مثل تدليك الظهر. (حتى الآن، لم يطوّر أحد مرحاض سيارة محمولاً، ومقبولاً اجتماعياً، وصحياً).

أخيراً، يشكل الأشخاص الذين يقطعون مسافات طويلة من منازلهم إلى أماكن عملهم مجموعة لديها وقت من ذهب. تدّعي بعض شركات الصوتيات أنك لا تحتاج سوى ست عشرة ساعة من أشرطة اللغة التي تبيعها للانتقال من المستوى صفر في الإسبانية إلى الإتقان الكامل. بذلك المعدل، يمكن لتلك المجموعة التي يستمع أفرادها إلى تلك الأشرطة في السيارة إتقان الإسبانية في أسبوع دون التخلي عن أي أنشطة أخرى. وبعد شهرين، يمكن أن يعملوا مترجمين في الأمم المتحدة، إذا لم يكونوا راضين عن أعمالهم الحالية.

أو كتب على أشرطة. قاطعو المسافات الطويلة هم أنداد النقل لقارئي السرعة. يمكنهم استعراض الحرب والسلم في اثني عشر يوماً، أو شيفرة دافنشي في خمسة.

قال ليندون جونسون: إنه يعلن حرباً على الفقر وأطلق حملة ضخمة لتجديد المدن؛ لأن 95 % من الأمريكيين، كما توقع، كانوا سيعيشون في المدن. لكن في الواقع، انتشر الناس في كل أنحاء البلاد إلى الضواحي، وما خلفها بسرعة أكبر مما كان أحد يتوقع.

(يثبت هذا مدى صعوبة وضع افتراضات حول ما ستبدو عليه أمريكة بعد خمسين سنة من الآن - في حين تركّز على بعض النزعات الكبيرة، تنساب بعض النزعات المجهرية الأخرى وتقلب توقعاتك رأساً على عقب). أرباب العمل الذين ينتقلون إلى الضواحي يقتربون فعلاً من بعض القوى العاملة. لكن بالنسبة لمجموعة كاملة من العمال الآخرين، كل ما تفعله إعادة تمركز أرباب عملهم هو تشجيعهم على الانتقال بعيداً - هذا يعني بالنسبة للكثير من الناس أن أهم شيء هو منزل، وحديقة، وحياة هادئة، بغض النظر عن التكلفة بالمال أو الوقت.

خلاصة القول: إن المزيد والمزيد من الأمريكيين يوجدون على الطريق - لكن ليس مثل جاك كيرواك، يفعلون ذلك للعثور على أنفسهم. إنهم يبحثون، على الأرجح، عن فنجان من القهوة ووجبة سريعة، يأملون أن يكون الازدحام مقبولاً اليوم، ويعرفون أنهم سيسلكون الطريق نفسه تماماً غداً.

الصورة الدولية

عندما أسست المفوضية الاقتصادية الأوروبية سنة 1957، كانت مهمتها إزالة الحواجز التجارية وضمان حرية سفر كل الأوروبيين بين الدول الأعضاء. لم يكن المؤسس جان مونيه يعرف أن «حرية السفر» ستزيد من المسافات التي يقطعها الأوروبيون اليوم - وحتى الانتقال مسافات طويلة جداً على متن طائرات نفاثة.

ضمن أوروبة فاز البريطانيون بجائزة أطول معدل انتقال للموظفين (من منازلهم وإلى أماكن عملهم) بخمس وأربعين دقيقة - أطول بعشرين دقيقة من معدل انتقال الموظفين في الولايات المتحدة. المعدل الكلي لانتقال الموظفين في الاتحاد الأوروبي (خليفة المفوضية الاقتصادية الأوروبية) هو ثمانٍ وثلاثون دقيقة، ويبلغ في إيطالية ثلاثاً وعشرين وفي ألمانية أربعاً وأربعين دقيقة.

لكن القصة المثيرة للاهتمام لا تكمن في وقت الانتقال الممل فقط، وإنما في العدد الكبير للأميال التي يقطعها كثير من هؤلاء طواعية. نصف عدد المسافرين في قطار السرعة العالية، يوروستار Eurostar، الذي يقطع ما يزيد عن 200 ميل بين فرنسة وإنكلترة هم من الموظفين - أشخاص يعيشون أساساً في فرنسا ويعملون في لندن. (في سنة 2007، وللمرة الأولى على الإطلاق، أقام مرشح للرئاسة الفرنسية تجمّعاً انتخابياً خارج فرنسة - محاولاً كسب أصوات نحو نصف مليون مواطن فرنسي يعيشون و/أو يعملون في لندن).

الأكثر إثارة للاهتمام هم الموظفون الذين يقطعون مسافات طويلة جداً من المنزل وإلى العمل، لكن ليس بالسيارة أو القطار، وإنما جواً على متن طائرات. كانت إحدى شركات السفر الجوي الأوروبية قد توقعت أنه بحلول سنة 2016 سيصل عدد الأشخاص الذين يعملون في المملكة المتحدة، لكن يعيشون في مكان آخر -وليس شمال فرنسا فقط، وإنما في برشلونة، وبالما، ودوبروفينك، وفيرونا أيضاً- إلى 1.5 مليون. تجعل تذاكر

السفر الرخيصة هذا الأمر ممكناً. في سنة 1994، لم تكن هناك أي شركة طيران تقدم تذاكر مخفّضة؛ وفي سنة 2005، وصل العدد إلى ستين. نقلت شركات طيران مثل ريانير Ryanair، إيزي-جت easy-Jet، وسكاي-يوروب Sky Europe نحو 200 مليون مسافر سنة 2003 وحدها.

على الرغم من أن السفر مسافات طويلة يزداد بسرعة في أوروبة، إلا أن الظاهرة ما تزال في مراحلها الأولى في آسية. تعرض بعض شركات طيران الأسعار المخفّضة مثل جت -ستار Jetstar، أواسيس Oasis، وإيرآسياإكس AirAsiaX تذاكر رخيصة، لكن لا يزال عليها منافسة شركات الطيران الحكومية. لكن يمكنك أن تتوقع أن يستفيد الآسيويون، أيضاً، من هذه النزعة حالما يستطيعون ذلك. يقضي الصينيون الآن ساعة أو أكثر في الانتقال إلى أماكن عملهم - عند أخذ ذلك في الحسبان، كيف يكون صعباً تنظيم رحلتي طيران يومياً للذهاب والإياب؟

أشخاص يعملون من المنزل

فيما يقود 3.4 ملايين أمريكي سياراتهم تسعين دقيقة أو أكثر إلى العمل كل يوم، ينتعل 4.2 أحذية خفيفة ويتجهون إلى مكتب المنزل، الذي ربما يكون عريناً منعزلاً بعيداً عن متناول أيدي الأطفال وله مدخل منفصل. أو ربما يكون السرير الذي أفاق عنه العامل للتو، وحيث يمكن للعامل/العاملة -حالما يتم إعادة الوسائد إلى مكانها، ترتيب السرير، ووضع الحاسب المحمول في المكان المخصص له- البدء بالإسهام في الإنتاجية في قوة العمل الأمريكية.

مهما يكن شكل العمل من المنزل، يمثل هؤلاء الـ4.2 ملايين أمريكي الذي يقومون به زيادة بنسبة 23 % عما كانوا عليه سنة 1990. وزيادة تقترب من 100 % عن سنة 1980.

عدد الموظفين الأمريكيين الذين يعملون من المنزل

2000-1980

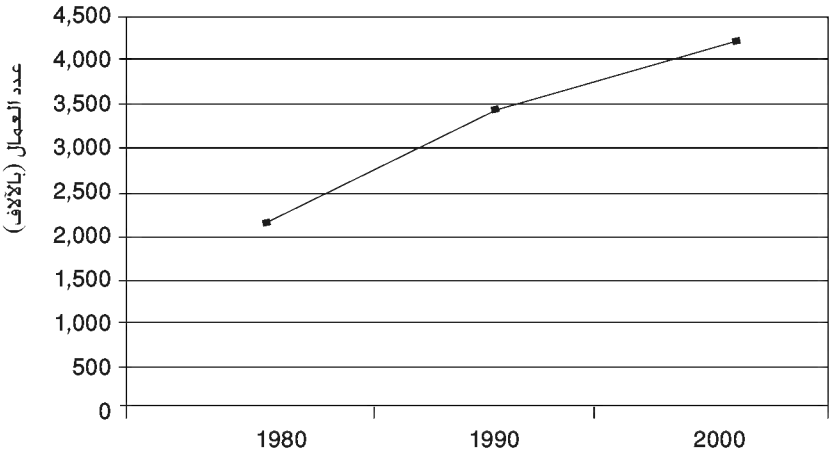

المصدر: مكتب الإحصاء الأمريكي، 2000

لا يتضمن هؤلاء العاملون من المنزل نحو 20 مليون أمريكي يعملون من بيوتهم «أحياناً». لا، هؤلاء هم أشخاص تقع مكاتبهم المعتادة على بعد خطوات فقط من فرشاة أسنانهم.

لماذا يعمل الناس من المنزل؟ غالباً ما يكون رعب الانتقال مسافات طويلة من المنازل وإلى أماكن العمل الذي وصفته في الفصل السابق سبباً كافياً - ربما يكون ذلك رائعاً لتفادي ساعات الازدحام، وتوفير نفقات الوقود، والتخفيف من تكلفة صيانة السيارة. تمتزج المتعة بالقدرة على البقاء بلباس النوم - الاستحمام اختياري.

يؤدي الضغط المتزايد لتحقيق توازن بين العمل والعائلة أيضاً إلى تفضيل العمل من المنزل. بالرغم من أنه ليس ممكناً على الأرجح أن يركز المرء على نحو كامل على العمل فيما يكون مسؤولاً أساساً عن أطفال (مستيقظين)، إلا أن العديد من العاملين داخل منازلهم يجدون أنهم أكثر إنتاجية في الساعات التي يكون فيها الأطفال في حضانة أو مدرسة.

لكن السبب الأكبر، بالطبع، لنمو ظاهرة العمل من المنزل قد يكون: الحواسيب المحمولة، وسرعة الاتصال العالية بالإنترنت، والهواتف الخليوية، وحتى هواتف الفيديو التي جعلت من الصعب تماماً تمييز المكاتب في المنزل عن تلك الموجودة في مباني الشركات، وقد أصبحت أخيراً متوافرة بقدرات وأسعار لم يكن ممكناً تخيلها البتة سنة 1980. لهذا سواء كنت تعمل لحساب نفسك أو لشخص آخر، ليس هناك فرق عملي تقريباً بالنسبة لزملائك أو عملائك فيما إذا كنت موجوداً في مكتب شركة أو عرين العائلة.

من هم العاملون من المنزل في أمريكة؟ ابتداءً من سنة 2000، 53 % نساء – مقارنة بـ 46 % فقط من العاملين في مكاتب الشركات من النساء. 88 % بيض. يمتلك 68 % منهم على الأقل شهادة جامعية، مقارنة بـ59 % من العاملين في مكاتب الشركات. النسبة الأكبر من هؤلاء تعمل في الإدارة وأعمال مهنية. نحو 2 من كل 3 يعملون بدوام كامل. يجني الكثير منهم أموالاً طائلة.

هذه طبقة ناجحة، وطموحة من الناس.

بالفعل، يدير أغلب العاملين من منازلهم (58 %) أعمالهم الخاصة، سواء كانت مسجلة رسمياً أم لا. يستخدم 35 % الحاسب في المنزل للعمل لصالح شركات خاصة أو منظمات غير ربحية تقع مراكزها في أماكن أخرى. تعمل نسبة 4 % فقط من العاملين من منازلهم لصالح الحكومة - ربما يكون هذا شيئاً جيداً، مع الأخذ في الحسبان عدد

الحواسيب المحمولة الحكومية التي تحتوي معلومات خاصة عن المواطنين، وقد تتعرض للسرقة فيما بعد.

يشكل الرجال الذين يعملون من المنزل مجموعة أكثر نجاحاً. يمتلكون أغلبية الأعمال التي يديرونها من المنازل، وليسوا أفضل تعليماً فقط، وإنما أكبر سناً وأكثر ثراءً من معدل السكان بوجه عام. يتربع الرجال الذين يعملون من منازلهم على قمة قائمة الدخل.

لكن لا تظن أن الرجال فقط يحولون العرين إلى مكتب شخصي. تتطور حركة «الأمهات سيدات الأعمال» -النساء اللواتي يُخرجن أنفسهن من القوة العاملة التقليدية ليبقين مع أولادهن، لكنهن يبدأن أيضاً عملاً بدوام جزئي للحصول على دخل، أو الرضا عن النفس، أو كليهما معاً- بسرعة أيضاً. وفقاً لإحصائيات سنة 2000. أكثر من نصف الشركات التي تتخذ من المنازل مقراً لها -تشكل نحو نصف شركات الولايات المتحدة بوجه عام- تمتلكها نساء. تتعامل مثل تلك الشركات في كل شيء من سيدات آفون Avon Ladies- 5 مليون عالمياً- إلى شركات استشارية تمتلكها نساء، التي تؤسسها عادة نسوة حققن إنجازات مهمة ولديهن قاعدة عملاء من أعمالهن السابقة. بين سنتي 2002 و2004 وحدهما، نما المعدل السنوي لعائدات شركات استشارية تمتلكها نساء (يعملن من المنزل أو غيره) 45 % لتصل إلى ما يزيد عن 150.000 دولار.

ومن كل الطبقات، يحب الناس حقاً العمل من المنزل. إلى جانب الحرية والمرونة اللتين يتمتع بهما رجال الأعمال، يقول 35 % من هؤلاء الموظفين الذين لا يديرون أعمالاً خاصة بهم، وإنما يعملون لصالح شركات أو منظمات أخرى: إنهم يستمتعون كثيراً. وفقاً لدراسة قامت بها «نقابة الأعمال الأمريكية»، يعبر 76 % من العاملين في المنازل بدوام كامل عن رضا كامل عن أعمالهم، مقارنة بـ56 % فقط من الذين يعملون في مكاتب الشركات. ولا يعزى السبب إلى أنهم مرتاحون في منازلهم. يسهم الأشخاص الذين يعملون من منازلهم بدوام كامل بما معدله 44.6 ساعة عمل في الأسبوع، مقارنة بـ42.2 ساعة يسهم بها العاملون بدوام كامل من مكاتب الشركات.

أرباب العمل سعداء، ليس بشأن كل ذلك العمل الإضافي فقط، وإنما بسبب الميزات الضريبية التي يحصلون عليها لخفض إطلاق مزيج الدخان والضباب من سيارات الموظفين، وزيادة المساحات الخالية في المكاتب أيضاً. في شركتي الخاصة لتنظيم استطلاعات الرأي، كنا قد ألغينا الحاجة إلى مكاتب هواتف الساحل الشرقي التي كانت تستقبل مكالمات المتصلين بنا، واستبدلناها بعاملين من منازلهم. ليس الأمر أسهل بالنسبة لهم فقط، وإنما أصبح هناك أشخاص مستعدون للاتصال بمستهلكين في اليابان -الساعة 3 صباحاً بتوقيت نيويورك- إذا كانوا يستطيعون القيام بذلك من شققهم بدلاً من مركز الاتصال الهاتفي. في النهاية، سيتم إجراء كل مقابلات استطلاعات الرأي بهذه الطريقة.

إذاً، بالرغم من أن نزعة العاملين من منازلهم لم تكن قد أسهمت في إحداث تغيير جذري بطريقة حياتنا -كما كان متوقعاً من قبل- إلا أن لهذه المجموعة من الأشخاص التي يزداد عددها على نحو كبير، وتعمل منتعلة أحذية خفيفة تأثيرات مهمة على العمل والسياسة.

أولاً، يحتاج العاملون من المنازل إلى طريقة لبناء مجتمع. المفارقة أنه بالرغم من أننا لا نلعب البولينغ وحدنا، إلا أننا نعمل على نحو متزايد وحدنا. العديد من العاملين في المنازل متعبون من تناول الغداء وحدهم، في المكان نفسه الذي يتناولون فيه الإفطار والعشاء. نحتاج إلى مبرّدة ماء افتراضية تعمل على إبقاء هؤلاء الأشخاص على اتصال بزملائهم - ليس بطريقة الرسائل الفورية فقط، وإنما بطريقة تعاونية، سهلة، لها فضاؤها المشترك. وهناك بالتأكيد سوق لتعليم الناس كيف يديرون، ويشاركون في اجتماعات عبر الهواتف.

ثانياً، في حين تتحرك الكثير من وظائف القوة العاملة إلى المنازل، تظهر قضايا سلامة، وراحة، وتصميم مكتب المنزل. من الواضح أن هناك ازدياداً في معدل وقوع حوادث الحريق، والإصابات، وخسائر أخرى ناجمة عن الاستعمال غير المناسب لآلات النسخ، والحواسيب التي تجثم على الأثاث الذي يلعب حوله الأولاد، وأسلاك الطابعة التي يمضغها كلب العائلة مما دعا أمين سر العمل ليدعو سنة 2000 إلى إطلاق «حوار قومي»

بشأن سلامة مكاتب المنازل. هل يمكنك الحصول على تعويض إذا انزلقت في مكتبك المنزلي على حليب أراقته ابنتك؟ إذا انفجر حاسبك المحمول وأحدث ثقباً في أريكة غرفة معيشتك، فهل ينبغي على المدير أن يدفع لك؟

مع العدد المتزايد من الأشخاص الذين يعملون من منازلهم لحسابهم الخاص -خاصة الناجحين والمجدّين- ربما يمكننا أخيراً من وضع نظام للتأمين الصحي ومدخرات التقاعد أفضل من الموجود حالياً.

وربما سنشاهد زيادة في «نوادي الغداء» التي سيتم استعمالها لتكون إقليماً خاصاً لرجال يحتسون الشراب، وفي غرف منفصلة، لسيدات يرتشفن الشاي. يحتاج الرجال والنساء العاملون إلى مكان يلتقون فيه عملاءهم وبناء شبكات عندما لا يفي عرين العائلة بالغرض. تماماً كما أوجدت معدلات الطلاق المرتفعة سوقاً لأشخاص يقيمون أوقاتاً طويلة في فنادق مثل ريزدنس إن Residence Inn، تعمل زيادة عدد العاملين من منازلهم على إيجاد سوق لمقار أعمال مؤقتة - اجتماع أو عرض واحد كل مرة.

بالحد الأدنى، نحتاج إلى التأكد من أنه إذا أصبحت المؤتمرات عبر الفيديو شيئاً معتاداً في «مكاتب» الأفراد المنزلية، فسيكونون مستعدين تماماً للاستحمام، وارتداء ملابسهم، وترتيب ما يلزم قبل عقد تلك الاجتماعات. وضع صور العائلة بفخر على خزانة مكتبك الجانبية شيء، وظهور طفل وكلب العائلة يصرخان في الخلفية عندما تحاول وضع إستراتيجية لعملك شيء آخر تماماً.

نساء يسهبن في الكلام

وقع الرئيس السابق لجامعة هارفرد لاري سمرز في الكثير من المتاعب سنة 2005 عندما أشار إلى أن النساء أقل مقدرة على نحو طبيعي من الرجال في العلوم. لكن ما لم يقله -وما غفلت عنه بعض الجماعات النسائية التي ساعدت في إقصائه أخيراً- إن النساء على وشك أن يمثلن الأغلبية في مهن تعتمد على الكلام، مثل الصحافة، والقانون، والتسويق، والاتصالات.

خشية أن أتعرض للمشكلة نفسها التي واجهها سمرز، دعوني أوضح أني لا أعرف لماذا يتجه الرجال أكثر إلى العلوم فيما تذهب النساء غالباً إلى «الكلمات». ليست لدي أدنى فكرة عن الدور الذي يؤديه علم الأحياء، الثقافة، أو المكانة الاجتماعية في تلك الخيارات. لكني أستطيع أن أقول لكم: إن تلك الخيارات تغير جذرياً وجه مهن معينة، وإن ذلك قد يعني اختلافات كبيرة لأمريكة.

خذوا الصحافة مثلاً. وفقاً لـ«مكتب إحصائيات العمل»، ابتداءً من سنة 2005، 57 % من محللي الأخبار، والمحررين، والمراسلين كانوا نساءً. حتى 57 % من مذيعي الأخبار في محطات التلفزة -الدور الرسمي الذي كان مقتصراً فيما مضى على أشخاص مثل والتر كرونكايت- من النساء. بالتأكيد، قدمت كاثي كوريك أخباراً رائعة بتغطيتها واحداً من برامج أخبار المساء القومية سنة 2006. لكن على المستوى المحلي، كانت ماري ريتشاردسون التي تقدم أخبار العالم قد حلت محل تيد باكستر منذ زمن طويل.

في العلاقات العامة -فن مساعدة الناس في التعبير عن أنفسهم بطريقة صحيحة تماماً- تشغل النساء نحو 70 % من هذا العمل، ارتفاعاً من 30 % في السبعينيات. (تبلغ نسبة النساء في الشركة التي عملت رئيساً تنفيذياً لها، 70 % بورسن مارستيلر Burson Marsteller).

لاحظت يو-إس-إيه توداي USA Today أن العلاقات العامة ربما تكون أول مهنة كان يسيطر عليها الرجال تقليدياً وتحولت لتسيطر عليها النساء تماماً.

أو انظروا إلى القانون، ذلك الاختصاص الرائع للنقاش الذي يأخذ شكلي الكتابة والكلام. منذ سنة 1970، كان عدد المحاميات في أمريكة قد ازداد 2900 %.

تشكل النساء أكثر من نحو نصف خريجي كليات الحقوق، ونصف العاملين في شركات المحاماة تقريباً، ويشغلن ثلثي مناصب نائب العميد في كليات الحقوق.

قارن كل أعداد الأغلبية والأغلبية العظمى هذه بعدد النساء في العلوم والأعمال. تشكل النساء 14 % فقط من عدد المهندسين المعماريين واختصاصات أخرى. تبلغ نسبتهن 15% من عدد الأساتذة في جامعات تقنية رئيسة مثل كاليتش وجورجيا. يشغلن 16 % فقط من الوظائف العليا في أفضل 500 شركة وفقاً لفورتشن Fortune. لا يشكلن سوى 3 % من مديري شركات التقانة الأعلى دخلاً.

بالتأكيد، بروز النساء في المهن التي تتطلب إسهاباً في الكلام لا يعني أنهن يسيطرن دائماً على عملية اتخاذ القرار فيها. في الصحافة والمحاماة، بوجه خاص، تتسرب النساء في مكان ما بين الكليات النظرية (حيث يشكلن الأغلبية) وأروقة السلطة. تشكل النساء 17 % فقط من شركاء شركات المحاماة. تبلغ نسبتهن نحو ثلث الصحفيين بدوام كامل الذين يعملون لوسائل إعلام رئيسة. لكن هذه النزعة جديدة، لهذا ربما تستغرق وقتاً طويلاً حتى تصل إلى القمة.

في العقود التي أعقبت انضمام النساء إلى أخبار التلفاز، زاد عدد القصص عن الإجهاض، والعناية بالأطفال، والتمييز الجنسي في مكان العمل على نحو كبير. وفقاً لتحليل واشنطن بوست Washington Post، في أثناء المدة القصيرة التي تولت فيها إليزابيث فارغاس تقديم أخبار العالم على قناة أيه-بي-سي ABC، خصصت المحطة وقتاً لقصص «الجنس والعائلة» -منع الحمل، والإجهاض، والتوحّد، وتطورات ما قبل الولادة، والولادة، واكتئاب ما بعد الولادة، وخلاعة الأطفال- أكثر مما قدّمته سي-بي-إس CBS وإن-بي-سي NBC مجتمعتين.

في كليات الحقوق، كان القانون العائلي موضوعاً اختيارياً حتى السبعينيات. هناك الآن عشرات الموضوعات التي تتناول بالبحث القانون العائلي الذي يعد أحد أشهر الصفوف في كلية الحقوق.

الشيء نفسه صحيح في العلاقات العامة والإعلان. كانت الإعلانات التلفازية عن الفوط النسائية، ومراهم المهبل، و«التخلص من ألم الحيض» قليلة ومتباعدة. لا يمكنك أن تشاهد الآن حتى نصف ساعة من وقت الذروة دون رؤية مثل تلك الإعلانات.

التأثير الآخر لانتقال النساء إلى مهن تعتمد الإسهاب في الكلام هو أن الرجال ربما يبتعدون عنها. في سنة 1971، كان أكثر من ثلث المعلمين في مدارس أمريكة العامة رجالاً. عندما اندفعت النساء إلى مهنة التعليم، تراجع عدد الرجال إلى أقل من الربع. في كل من العلاقات العامة والصحافة التلفازية الآن، بدأ المديرون يقلقون بشأن ابتعاد الرجال عنهما على نطاق واسع. يدّعي بعضهم أن «أفضل» المهنيين قد فازوا ببساطة، لكن آخرين يعكسون اعتراض لاري سمرز: مع تمثيل غير صحيح لنصف الجنس البشري، هل يمكننا حقاً الاستفادة من طاقاتنا كاملة؟

الحقيقة هي أن النساء يتّبعن بطرق عديدة المسارات التقليدية التي كان المهاجرون الجدد قد اكتشفوها لتحقيق النجاح. دخلت النساء سوق العمل بأجور أقل من الرجال، ويعد اللجوء إلى مثل تلك المهن مساراً مؤكداً للتطور الاجتماعي والاقتصادي. تتطلب مهن الإسهاب في الكلام رأسمالاً بشرياً، وتكون نتيجة الدراسة والعمل الجاد، وليس القوة أو العنف. على الرغم من أن النساء سيطرن أولاً في التعليم والتمريض، إلا أن تطورهن الاجتماعي والاقتصادي كان قد قاد إلى مرتبة جديدة من النجاح المهني خلف هاتين المهنتين.

كانت المهن التي تتطلب إسهاباً في الكلام خياراً منطقياً - مكان يمكن للنساء تحقيق النجاح فيه بقدراتهن الخاصة، وحيث يمكنهن إدخال أفكار جديدة كانت مفقودة من المشهد. وهكذا أصبحت النساء أكثر راحة؛ لأنهن يستطعن التفوق في تلك المهن. تركن الكفاح الجسدي على الأغلب للرجال، وتولين أمر الكفاح اللفظي الذي يحدد الكثير في ديمقراطية مسالمة.

ويمكن أن تتوقع أن تتسع هذه النزعة عالمياً. عندما دخلت النساء في كل مكان سوق العمل وتلقين تعليماً أفضل، فتحت مجموعة كاملة جديدة من المهن أبوابها لهن.

بالطبع، أحد أكثر المؤلفين بيعاً في كل الأوقات، جي. ك. رولينغ J.K. Rowling، التي ذاعت شهرتها مع هاري بوتر، هي امرأة بريطانية.

ربما تكون السياسة الجبهة الآتية للنساء. بعد أن عملت طويلاً مع هيلاري كلينتون، رأيت كيف يتحول ما كان مرة إجحافاً بحق النساء في الحياة العامة ببطء إلى قبول وحتى تفضيل. يراقب جيل كامل من الشابات الآن لمعرفة إن كانت أمريكة، أيضاً، ستنتخب أول امرأة رئيسة للسلطة التنفيذية كما حدث سلفاً في المملكة المتحدة، وألمانية و«إسرائيل» وتشيلي. إذا كانت ملايين النساء الشابات يثبتن أقدامهن في الصحافة، والعلاقات العامة، والقانون، فستكون السياسة قفزة منطقية - لأنها تتطلب الكثير من المهارات نفسها التي يحتاج إليها المرء في السياسة. العديد من صانعي السياسة المحترمين في واشنطن الآن نساء، ويسهمن بتشكيل القرارات التي يصدرها البيت الأبيض ومجلس النواب وتحدد وجهة بلدنا. كان هناك ست عشرة امرأة في مجلس الشيوخ سنة 2007 - بعيداً تماماً عن خمسين، لكنها قفزة كبيرة من واحدة فقط، قبل خمس وخمسين سنة مضت.

كان لاري سمرز يركز على الجانب الخاطئ من القضية. بدلاً من أن يتساءل عن السبب الذي يجعل تمثيل النساء غير صحيح في الرياضيات والعلوم، ربما كان ينبغي أن يلاحظ براعة النساء في المهن التي تتطلب إسهاباً في الكلام وكيف أن نجاحهن هناك ربما يقود أخيراً إلى سياسات جديدة بالكامل. كان لحملتهن الكلامية بالتأكيد تأثير عليه.

نساء يتشبهن بالرجال

لن تشكل النساء اللواتي يسهبن في الكلام نزعة مجهرية إذا لم يكن هناك أيضاً مجموعة أخرى متمايزة المعالم تندفع في الاتجاه المعاكس. لهذا نتحول الآن إلى نساء في أمريكة يخترن بازدياد أعمالاً تتطلب قوة جسدية كبيرة.

تتراوح تلك الأعمال من الرياضات إلى الإطفاء والشرطة، والبناء، والجندية. أولاً، الرياضات. على الرغم من أن أول مسابقة لكمال الأجسام النسائية كانت أساساً منافسة جمال بملابس البحر البكيني، إلا أن هناك الآن مسابقات جدّية لبناء الأجسام ورفع الأثقال النسائية، وقد أصبحت رفع الأثقال النسائية رياضة أولمبية رسمية سنة 2000. انضمت المصارعة الحرة النسائية إلى الألعاب الأولمبية سنة 2004. في نيسان 2007، أصبحت ريا كورتيسو أول امرأة تحكم مباراة في دوري كرة القاعدة منذ عقود.

لا تزال كرة القدم الأمريكية تجلب إلى الأذهان رجالاً أقوياء البنية يحتشدون حول كرة مصنوعة من الجلد، لكن ابتداءً من سنة 2007. كانت هناك في الواقع ثلاث مسابقات لكرة القدم الأمريكية النسائية في أمريكة، تضم ثمانين فريقاً - ارتفاعاً من عشر فرق سنة 2000. يُقال: إن عدد النساء اللواتي يلعبن الرغبي -لم يكن ذلك معروفاً نظرياً قبل عقدين من الزمن- يصل إلى نحو 10.000 في الكليات و3000 امرأة أخرى في المدارس الثانوية.

صحيح، إنهن يلعبن مع بعضهن -هذه ليست بيلي جين كينغ تضرب بوبي ريغز في عرض تلفازي مصور مسبقاً من السبعينيات- لكن اسأل جدّتك إن كانت استطاعت أن تتوقع أنه بحلول سنة 2007 سيكون هناك نحو 100 فريق كرة قدم أمريكية نسائي محترف في أمريكة.

على جبهة عمل الإطفاء، نحو 5 % من العاملين في الإطفاء في أمريكة من النساء، أو ما يزيد عن 6000 امرأة (هناك 35.000 متطوعة). بين موظفي تطبيق القانون، 1 من كل أربع نساء. وهي نسبة ارتفعت كثيراً مقارنة بعقود ماضية. بين ضباط الشرطة، نجد أن النسبة تزيد قليلاً عن 1 من كل 10.

في سنة 1953، تأسست «النقابة القومية لعاملات البناء» بستة عشر عضواً. تضم اليوم نحو 6000 عضوٍ، و180 فرعاً في أرجاء البلاد.

شهد الجيش نمواً كبيراً في عدد النساء المنتسبات إليه أيضاً. في سنة 1960، لم تكن هناك سوى 31.700 امرأة في القوات المسلحة، أو ما يزد عن 1 % قليلاً. ابتداءً من سنة 2005، كانت هناك أكثر من 200.000 امرأة في الخدمة، أو نحو 15 % من قواتنا المسلحة. (كانت جيسيكا لينش، التي أنقذت على نحو بطولي في العراق سنة 2003، واحدة فقط من 150.000 امرأة أمريكية خدمن في العراق وأفغانستان، ابتداءً من أواخر سنة 2006). معاً، هناك 1.7 مليون محاربة قديمة في الولايات المتحدة - العدد نفسه تقريباً من معلمي المدارس الابتدائية والمتوسطة. على الرغم من أن قلّة من الوظائف العسكرية لا تتطلب الاشتراك في معارك، إلا أنه من الواضح أن العمل يجذب الجانب القوي من الجنس اللطيف.

في ربيع 2007، أجرينا استطلاعاً سريعاً للرأي؛ لمعرفة المزيد بشأن أولئك النساء اللواتي يخترن مهناً في الرياضيلت والشرطة والإطفاء والقوات المسلحة أو البناء والتشييد. بوجه عام، هن نساء كبيرات الحجم، ومحافظات، وسعيدات، وسويات في علاقاتهن الجنسية - مستعدات للكفاح في طريقهن صعوداً على السلم الاقتصادي.

أولاً: أجسادهن ضخمة. طول 1 من كل 4 أكثر من 180 سم، أو 90 % من القيمة الإحصائية للنساء البيض بوجه عام. (كانت 90 % من مجمل العينة نساء بيضاوات). هن أيضاً أثقل وزناً، إذ تزيد أوزان 58 % منهن على 70 كيلوغراماً، ويزيد وزن نحو 1 من كل 3 نساء في العينة المنتقاة على 80 كيلوغراماً. ربما ليس مفاجئاً أن 8 من كل 10 كن رياضيات في صغرهن، ومعظمهن لديهن أشقّاء أكثر من الشقيقات. (نصفهن تقريباً لديهن على الأقل شقيقان).

تميل النساء اللواتي يتشبهن بالرجال أيضاً إلى اليمين - تدعو 76 % منهن أنفسهن بأنهن محافظات أو معتدلات، وتقول 1 من كل 4: إنها ديمقراطية. إنهن يسكن في الأرياف أكثر من المدن مقارنة بعينة قومية نموذجية.

النساء اللواتي يتشبهن بالرجال راضيات عن أعمالهن. تحب 54 % منهن أعمالهن معظم الوقت، وتميل 52 % منهن إليها معظم الوقت. وستوصي كلهن تقريباً بأعمالهن إلى فتيات أو شابات يفكرن في الانضمام إليها - أكثر من النصف، بكل نشاط وحيوية.

هل ستوصين بعملك إلى فتيات أو شابات يفكرن في الانضمام إليه؟	
	%
نعم، بحماس	56
نعم، مع بعض التردد	30
لا، ربما لا	8
لا، بالتأكيد لا	2
لا أعرف	4

حماستهن لأعمالهن كبيرة بالرغم من حقيقة أنها لم تكن سهلة. قالت 6 من 10: إنهن يتعرضن للتمييز في العمل؛ لأنهن نساء، وقالت نحو 4 من 10: إنه في مجال عملهن يتم تجاهل آراء النساء. لكن يبدو أن السجية الخاصة لأعمالهن جزء من الإثارة. قالت 64 % منهن: إن حقيقة أن العمل كان تقليدياً حكراً على الرجال قد جعلهن أكثر اهتماماً به، مقارنة بنسبة 10 % فقط قلن: إن تلك الحقيقة تجعلهن أقل اهتماماً به. كان ذلك التقليد الذكوري مصدر فخر في الأحاديث الاجتماعية:

عندما تخبرين الناس عن طبيعة عملك، هل تكونين:	
	%
فخورة؛ لأنه تقليدياً حكر على الرجال	76
مترددة؛ لأنه تقليدياً حكر على الرجال	4
لا أعرف	20

أخيراً، كانت النساء اللواتي يتشبهن بالرجال قد أبلين حسناً على الصعيد الاقتصادي. على الرغم من أن 1 فقط من كل 4 كانت قد أنهت دراستها الجامعية، إلا أنهن يجنين مبالغ جيدة من المال - يزيد دخل 42 % منهن على 75.000 دولار، بما في ذلك 14 % يتجاوز دخلهن 100.000. كان المال والفوائد قد تصدَّرا تقريباً قائمة ما تحبه النساء في أعمالهن، بعد التحديات الذهنية فقط.

بمعايير الحالة الاجتماعية، 76 % من النساء اللواتي يتشبهن بالرجال متزوجات الآن، وخاضت 18 % منهن تجربة الزواج من قبل. وبالرغم من أن معظم أفراد العينة قلن: إنهن يعرفن شخصاً كان شاذاً أو كانت سحاقية، إلا أن 13 % منهن فقط -أصغر مجموعة ممن جرى استطلاع آرائها- قلن: إن مثل هؤلاء الأشخاص كانوا يعملون معهن.

لكن يبدو أن العمل في مهنة يسيطر عليها الرجال ينطوي على خطر التعرض لاعتداء جنسي أو يشجع على مثل ذلك الاعتداء. قالت نحو 4 من كل 10 نساء: إنهن كن ضحايا اعتداء جنسي في مرحلة ما من حياتهن، وهذه نسبة عالية تماماً مقارنة بالتجارب التي تمر بها النساء بوجه عام. ربما كانت تجربة التعرض لمثل ذلك الاعتداء هي التي دفعت بعض أولئك النساء نحو مهن تتطلب قوة جسدية كبيرة، والضعف غير مرغوب به فيها.

للنساء اللواتي يتمتعن بقوة جسدية كبيرة تأثيرات مهمة على المجتمع. أولاً، أولئك النسوة يحببن أعمالهن، وهن يحظين بالقبول. على الرغم من أن بعض المجموعات النسائية كانت قد اشتكت أن عدد النساء في أدوار يهيمن عليها رجال تقليدياً لم يرتفع بسرعة كافية، ينبغي أن يتوقع الرجال الذين يحتفظون بتلك الأعمال لأنفسهم أن دوام الحال من المحال. كانوا قد اختاروا لأنفسهم بعضاً من أقسى، وأشد الخصوم على الأرض.

ثانياً: إلى حدٍ ما، ستغير النساء تلك المهن. في البداية، يكون الموقف أن بمقدورهن ويمكنهن إنجاز العمل مثل الرجال تماماً - لكن حالما تصبح أعدادهن كبيرة (كما حدث في القانون والصحافة، والطب كما يبدو)، ستغير آراؤهن المهن نفسها. في سنة 2002. وجد «المركز القومي للنساء والسياسة»، بناءً على دراسة لسبعة أجهزة شرطة رئيسة في الولايات المتحدة، أن ضباط الشرطة من النساء أقل استخداماً للقوة المفرطة من

نظرائهن الرجال – أو اتهامهن بذلك أقل. نتيجة لذلك، يكلف كل ضابط شرطة من الرجال دائرته ما بين ضعفين ونصف وخمسة أضعاف تكلفة ضابط الشرطة من النساء بوصفها تعويضات قضايا المسؤولية عن استعمال القوة المفرطة. هل تركز النساء ضباط الشرطة على التخفيف من التوتر بدلاً من محاولة السيطرة عليه بالقوة؟ وبالرغم من أن تلك لن تكون إستراتيجية نافعة في كل حالة، أليس كذلك، هل ستكون عامل توازن مفيداً للقوة المفرطة؟

نصف جرائم العنف التي تصل إلى الشرطة تخص العنف العائلي. هل لدى المرأة ضابط الشرطة حس أفضل في الاستجابة لها؟

بالطبع، لن أتكلم بوجه عام عن إيجابيات النساء دون ذكر سلبياتهن. بالتأكيد، في ظل أول امرأة مدعٍ عام في أمريكة، جانيت رينو، أصبحت الشرطة تركز على «السياسات الاجتماعية» التي تمنع الجريمة قبل وقوعها. من ناحية أخرى، ساعدت أول مستشارة للأمن القومي (أصبحت لاحقاً وزيرة الخارجية)، كونداليزا رايس، على تمهيد الطريق للحرب على العراق. ونشرت أول رئيسة وزراء مارغريت تاتشر الجيش البريطاني على نحو أكثر عدوانية مما فعله أي سلف لها في سنوات. لم يكن هناك ما يكفي من النساء في السلطة لإطلاق أحكام عامة شاملة بشأن الطريقة التي ربما يقدن فيها على نحو مختلف عن الرجال، لكن بناءً على ما كنا قد رأيناه في القانون والصحافة، سأتوقع حدوث تغييرات في مهن النساء اللواتي يتشبهن بالرجال، أيضاً.

الشيء المذهل الآخر بشأن النساء اللواتي يتشبهن بالرجال هي أنه فيما تتصدى المزيد والمزيد من النساء لمهن تتطلب قوة جسدية، يبدو أن معدل قوة النساء يتزايد. منذ أواخر الستينيات، كان الرجال قد أنقصوا الزمن اللازم لقطع الماراثون ثلاث دقائق – لكن النساء أنقصن الزمن إحدى وثلاثين دقيقة. محرومات وقتاً طويلاً، بأعداد كبيرة، من إجراء تدريبات جسدية مكثّفة، كانت النساء (والرجال) يعتبرن حقيقة مطلقة أنهن أصغر، وأضعف، وأبطأ من الرجال. لكن من يعرف؟ تجري المزيد من النساء تدريبات جسدية ويصبحن أقوى. لبعض الوقت، استطاع الرجال تمييز أنفسهم على أساس القوة

الجسدية. تحصل النساء الآن على تلك الفرصة، وبدأت ملايين النساء اللواتي لم يكنّ قد شاركن من قبل في سباق حقيقي أو اختبرن قدراتهن الجسدية القيام بذلك. سوف يستمر ذلك لتقليص الاختلافات الجسدية بين الجنسين.

تماماً كما كانت العديد من النساء قد اكتشفن قوة الكلمات، اكتشفت كذلك نساء أخريات قوتهن الجسدية وقدرتهن على التنافس جبناً إلى جنب مع الرجال في مهن تتطلب قوة جسدية كبيرة. النساء اللواتي يخترن تلك الدروب الجديدة يحببنها ويصبحن جزءاً من مجموعتها المتميزة - قويات، فخورات، شديدات، ويسرن على درب أمام أخريات. قبل خمس وعشرين سنة مضت، كان هناك نقاش قومي بشأن «تعديل الحقوق المتساوية»، وكانت إحدى أكبر الحجج ضده أنه ربما ينبغي على النساء الخدمة في القوات المسلحة أو الشرطة. تثبت النساء اللواتي يتشبهن بالرجال اليوم كم كان ذلك النقاش سخيفاً.